

مدرسة "أهل الثغور"

فلسفة الأمن والتكافل في رؤية الإمام السجاد (ع)

بقلم

الباحث خلف حسين هامل
مديرية تربية واسط



يهدف هذا المقال إلى تقديم قراءة تحليلية معمّقة لـ"دعاء أهل الثغور" في الصحيفة السجادية بوصفه نموذجاً متقدماً لفلسفة الأمن في الفكر الإسلامي، ويبرز المقال الأبعاد الروحية، والاجتماعية، والنفسية، والأخلاقية التي يتضمنها الدعاء، مع ربطها بالنصوص القرآنية والسنة النبوية، وبعض المفاهيم الحديثة في دراسات الأمن الإنساني، وتلخص الدراسة إلى أن رؤية الإمام السجاد (ع) تؤسس لنموذج تكاملي للأمن قائم على التكافل المجتمعي والوعي القيمي، بما يجعله قابلاً للتطبيق في السياقات المعاصرة.

يمثل الأمن أحد أهم مرتكزات استقرار المجتمعات واستمرارها، وقد تناولته الشريعة الإسلامية ضمن إطار شامل يتجاوز البعد العسكري ليشمل الجوانب النفسية والاجتماعية والأخلاقية، ومن هنا يبرز "دعاء أهل الثغور" للإمام السجاد (ع) بوصفه نصاً تأسيسياً يعيد صياغة مفهوم الأمن من منظور حضاري متكامل.

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة الكشف عن البنية المفاهيمية لهذا الدعاء، وتحليل مضامينه في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، وربطها بالاتجاهات الحديثة في الدراسات الأمنية.

أولاً: الأمن بوصفه مسؤولية جماعية في دعاء أهل الثغور

يُعدّ مفهوم الأمن في الإسلام مفهوماً شمولياً يتجاوز المعنى التقليدي المرتبط بالحماية المادية أو العسكرية، ليشمل حالة من الطمأنينة والاستقرار المتكامل الذي يمسّ مختلف أبعاد الحياة الإنسانية، فالأمن في الرؤية الإسلامية يرتبط بحفظ الضروريات الخمس التي تشكل جوهر مقاصد الشريعة، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض، مما يجعله إطاراً حضارياً متكاملًا يضمن استمرارية الفرد والمجتمع.

ويؤكد القرآن الكريم هذا البعد الشامل للأمن من خلال ربطه بالإيمان والسلوك القيمي، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: 82) حيث يُفهم الأمن هنا بوصفه ثمرة للالتزام العقدي والأخلاقي، لا مجرد حالة خارجية مفروضة، كما يبرز البعد الاقتصادي والاجتماعي للأمن في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جَوْعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: 4) مما يدل على أن تحقيق الأمن يرتبط بتوفير الحاجات الأساسية للإنسان، وأن الاستقرار المعيشي جزء لا يتجزأ من المنظومة الأمنية.

ومن جهة أخرى يقرّ الإسلام بمشروعية اتخاذ الأسباب المادية لتحقيق الأمن، من خلال الإعداد والاستعداد، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

ينسجم ما ورد في "دعاء أهل الثغور" للإمام السجاد (ع) مع هذا التصور الشامل للأمن، حيث يجمع بين الإعداد المادي والدعم الروحي، ومن ذلك قوله عليه السلام "اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِيًا أَوْ مُرَابِطًا فِي دَارِهِ، أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيهِ فِي غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعَتَادٍ، أَوْ شَحَدَهُ عَلَى جِهَادٍ، أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُرْمَةً، فَاجِرٌ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، وَزَنَانٌ بِوَزْنِ وَمِثْلًا بِمِثْلِ" فهذا النص يجسد تكاملاً واضحاً بين الحماية الإلهية، والدعم المادي، وتعزيز القدرة الدفاعية، مما يعكس وعياً عميقاً بأن الأمن لا يتحقق إلا بتكامل هذه الأبعاد، إلا أن هذا الإعداد لا ينفصل عن البعد القيمي والروحي، بل يتكامل معه في بناء قوة متوازنة.

ومن هنا يمكن ان نقول إن الأمن في الإسلام يقوم على تفاعل ثلاثة أبعاد رئيسية: البعد الإيماني الذي يحقق الطمأنينة الداخلية، والبعد الاجتماعي الذي يعزز التكافل والاستقرار، والبعد المادي الذي يوفر الحماية والدفاع، وبهذا المعنى يصبح الأمن منظومة متكاملة تتأسس على القيم، وتتحقق بالممارسة، وتُصان بالتكافل والمسؤولية المشتركة، كما يؤكد النبي ﷺ هذا البعد الجماعي بقوله: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً".

ثانياً: التكافل الاجتماعي كركيزة للأمن

يبرز الدعاء أهمية التكافل في دعم المقاتلين وأسرهم، وهو ما يمثل بعداً استراتيجياً في تحقيق الاستقرار، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله: "من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا" كما يدعو القرآن إلى التكافل بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۚ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ ((سورة المائدة: 2)).

يتجلى البعد التطبيقي للتكافل في "دعاء أهل الثغور"، حيث يقول الإمام السجاد عليه السلام "اللَّهُمَّ وَ أَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أَوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الْأَعْلَىٰ وَ حِزْبُكَ الْأَقْوَىٰ وَ حَظُّكَ الْأَوْفَىٰ فَلَقَّهِ الْيُسْرَ"، وهو نص يعكس بوضوح أن رعاية أسر المقاتلين ليست عملاً ثانوياً، بل جزءاً أصيلاً من منظومة الدفاع، يوازي في أهميته الجهد المبدول في ساحة القتال.

وعليه، فإن التكافل الاجتماعي في هذا السياق لا يُفهم بوصفه مجرد قيمة أخلاقية، بل يمثل أداة استراتيجية في تعزيز التماسك المجتمعي، وضمان الاستقرار النفسي، وبناء قوة جماعية قادرة على الصمود، مما يجعل المجتمع بأكمله شريكاً فعلياً في تحقيق الأمن.

ثالثاً: البعد النفسي والحرب المعنوية

يعكس "دعاء أهل الثغور" وعياً متقدماً بطبيعة الحرب النفسية، إذ لا تقتصر المواجهة على البعد المادي، بل تمتد لتشمل التأثير في الحالة النفسية للعدو، وإضعاف معنوياته قبل وقوع الصدام المباشر، ويتجلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (آل عمران: 151) حيث يُعدّ إلقاء الرعب عاملاً حاسماً في تفكيك تماسك الخصم وتقليل قدرته على المواجهة، ويؤكد الإمام السجاد (ع) على ضرورة تحصين المقاتل من الداخل، من خلال تقوية إيمانه وتطهير قلبه من عوامل الضعف كالخوف والطمع، بما يحقق له التوازن النفسي والثبات في الميدان ويتسق ذلك مع التوجيه القرآني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ (الأنفال: 45) حيث يشير الثبات إلى حالة من الرسوخ النفسي واليقين الداخلي.

حيث يعبر "دعاء أهل الثغور" عن هذا البعد النفسي بوضوح، إذ يقول الإمام السجاد (ع) "وَأَعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ، وَالْهَمَّهُ الْجُرْأَةَ، وَارْزُقَهُ الشَّدَّةَ"، فهذا المقطع يجسد بناء القوة النفسية من الداخل، عبر تعزيز الشجاعة، وإزالة الخوف، وترسيخ الصبر، وهي عناصر أساسية في تحقيق الفاعلية القتالية، فإن البعد النفسي في رؤية الإمام السجاد (ع) يشكل ركناً أساسياً في معادلة القوة، حيث يتكامل مع الإعداد المادي ليكون منظومة دفاعية متوازنة، تقوم على إضعاف العدو معنوياً، وتقوية الذات داخلياً، بما يضمن تحقيق الثبات والانتصار.

رابعاً: النقاء القيمي وأثره في تحقيق النصر

يربط الإمام السجاد (ع) بين النصر والالتزام القيمي، مستنداً إلى مبدأ قرآني واضح كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (سورة محمد: 7) فالقوة في هذا الإطار لا تُقاس بالعدة والعتاد فقط، بل بمدى التزام الأفراد بالقيم الإلهية، مما يمنح الفعل الدفاعي مشروعيته الأخلاقية ويضمن استدامته، كما يحذر من الانحراف الأخلاقي الذي أشار إليه في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: 46) ويؤكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: ((إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) ومن هنا ينسجم "دعاء أهل الثغور" مع هذا التوجه القيمي، حيث يقول الإمام السجاد (ع) "وَأُثِرْ لَهُ حُسْنُ النِّيَّةِ، وَتَوَلَّهِ بِالْعَافِيَةِ، وَأَصْحَبَهُ السَّلَامَةَ"، مما يعكس بوضوح أن النقاء الداخلي وصفاء النية يمثلان شرطاً أساسياً في تحقيق النصر، فإن الأخلاق تمثل أساساً حاسماً في تحقيق الاستقرار والنصر، ويتعزز هذا النص الأخلاقي بمقطع آخر يطلب فيه الإمام تحصينهم من العدوان والظلم "اللَّهُمَّ وَقِهِمْ مِنَ الظُّلْمِ، وَجَنِّبْهُمْ العُدْوَانَ، وَسَدِّدْهُمْ لِلْحَقِّ فِي حَالِ السَّلْمِ وَالْحَرْبِ".

خامساً: الضوابط الأخلاقية في الحرب

يضع الإسلام قيوداً صارمة على السلوك في الحرب، وهو ما يتجلى في دعاء الإمام السجاد (ع)، ويتوافق مع قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ (البقرة: 190)، وقد أوصى النبي ﷺ بعدم قتل المدنيين، فقال: ((انطلقوا باسمِ الله، وبالله، وعلى ملةِ رسولِ الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأةً، ولا تغلُّوا، وضُمُّوا غنائمكم، وأصلحوا {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (البقرة: 195))، وينسجم "دعاء أهل الثغور" مع هذه الضوابط بشكل دقيق، حيث لا يكتفي الإمام بطلب القوة للمجاهدين، بل يطلب لهم "البصيرة الفقهية والأخلاقية" في التعامل مع الميدان، فيقول: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ... وَعَلِّمُهُمْ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ مَا لَا يُبْصِرُونَ..." مما يعكس التزاماً واضحاً بالحدود الإنسانية والأخلاقية حتى في ظروف المواجهة وهذا يعكس الطابع الإنساني للأمن في الإسلام.

سادساً: الوعي والذكر كآلية للثبات

يؤكد الإمام السجاد (ع) على أهمية الوعي المستمر في بناء القدرة على الثبات واتخاذ القرار، ويتجلى ذلك في مفهوم الذكر كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: 45) فالذكر هنا ليس مجرد ترديد لفظي، بل حالة من الحضور الذهني والإدراك العميق تعزز الانضباط النفسي وتمكّن الإنسان من مواجهة الضغوط بثبات، وعلى الرغم من حضور مفهوم المواجهة، يبقى البعد الأخلاقي محددًا أساسياً، حيث يظل القتال وسيلة لرفع الظلم وتحقيق العدالة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ (البقرة: 190) ويجسد "دعاء أهل الثغور" هذا البعد الروحي والأخلاقي بقوله الإمام السجاد (ع) "وَأَنْزَلَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ، وَتَوَلَّاهُ بِالْعَافِيَةِ، وَأَصْحَبَهُ السَّلَامَةَ، وَأَعْفَاهُ مِنَ الْجُبْنِ، وَالْهَمَّهُ الْجُرْأَةَ، وَارزُقَهُ الشَّدَّةَ، وَأَيِّدَهُ بِالنُّصْرَةَ، وَعَلِّمَهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ، وَسَدِّدْهُ فِي الْحُكْمِ، وَاعزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ، وَخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ، وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإِقَامَتَهُ فِيكَ وَلَكَ" وبذلك يتحول الدعاء إلى آلية عملية لتعزيز الوعي والتكافل والانضباط الأخلاقي، ويصبح المجتمع كياناً متكاملًا، يؤدي فيه كل فرد دوره في حماية "ثغر" من ثغور الأمة، داخلياً وخارجياً، بما يعزز العدالة والاستقرار.

الاستنتاجات

1. يقدم الإمام السجاد (ع) نموذجاً تكاملياً للأمن يجمع بين الروحي والمادي.
2. الأمن في الإسلام مسؤولية جماعية تتطلب مشاركة جميع أفراد المجتمع.
3. التكافل الاجتماعي يمثل ركيزة استراتيجية في تحقيق الاستقرار.
4. البعد النفسي عنصر أساسي في معادلة القوة.
5. القيم الأخلاقية تشكل الأساس الحقيقي للنصر والاستمرار.
6. دعاء أهل الثغور نص قابل للتطبيق في السياقات المعاصرة.

التوصيات

1. تعزيز الدراسات البينية: ضرورة دمج التراث الإسلامي في دراسات الأمن الحديثة لإنتاج نماذج أكثر شمولاً.
2. تفعيل التكافل المجتمعي: دعم السياسات التي تعزز رعاية أسر المقاتلين والفئات المتضررة.
3. الاهتمام بالحرب النفسية والإعلامية: تطوير استراتيجيات إعلامية واعية تسهم في تعزيز الاستقرار.
4. تعزيز التربية القيمية: إدماج القيم الأخلاقية في المناهج التعليمية بوصفها أساساً للأمن المجتمعي.
5. تطبيق مفاهيم الأمن الإنساني: توسيع مفهوم الأمن ليشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية.
6. إحياء النصوص التراثية: إعادة قراءة الأدعية والنصوص الإسلامية بوصفها مصادر للفكر الاستراتيجي.

الخاتمة

يخلص المقال إلى أن "دعاء أهل الثغور" يمثل رؤية حضارية متقدمة للأمن، تتكامل فيها الأبعاد الروحية والاجتماعية والأخلاقية، ويؤسس الإمام السجاد (ع) من خلاله لنموذج إنساني شامل، يعيد تعريف القوة بوصفها نتاجاً للتكافل والوعي والقيم، مما يجعله إطاراً نظرياً صالحاً للاستثمار في بناء مجتمعات معاصرة أكثر استقراراً وتماسكاً.

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٦/٤/٢٠١٢، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة، ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- لا تعبر الآراء الواردة في الدراسات او الاوراق البحثية والمقالات عن الاتجاهات الفكرية التي يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

للتواصل

00964- 7710122232



Alfaiidcenter2011@gmail.com



www.al-faidh.com



العراق - بغداد - الكرادة

